سورية بعد التحرير

لاتدعوا الى الفتنة فان أسرع الناس
الى القتال أقلهم حياء من الفرار
الاحنف بن قيس

أذكى أوار هذه الحرب الضروس قوم ظنوا أن لهم بها مغنم ، وأضرم نارها أقوام دُعُوا اليها دعاة مؤمنين دفع مغرم ، وساعد فيها شعب آخر ليمنع اقتراف الاثم ، ويحول دون فناء العالم خدمة للانسانية التي تألم. دارت رحاها خمس دورات ، وجرت جيادها خمسة أشواط ، وقطب رحاها ثابت وقصب السبق أحرز — أو كاد — فوضعت السفاجة الاشعرية مبادئ لاخماد ثورتها ، واسكان براكينها رحمة بالانسانية ، فافقدت الفضيلة الشخصية تلك المبادئ السامية فانجلى المغير عن أراض احتلها وسلم الصياصي التي كان قد أحكم بناءها . وظن ان فجر سعادة الانسانية قد تنفس ، وان قد تساوت الامم والشعوب في الواجبات والحقوق ، وانتشر لواء الحرية يطوي علم الاستعباد . ماذا جرى بعد ان وضعت الحرب أوزارها ؟

تناول ذلك الدهاء الممري تلك المبادئ فحولها عن وضعها بالتأويل والتحريف استخلص منها معاهدة الصلح كانت علة لجميع الحروب المنبثقة ، من تلك المعاهدة وستكون سبب حروب المستقبل وخراب العالم [1] فاذا كانت مبادئ ولسن عملة عادلة فان المعاهدة مخشربة جائرة . جاس قوم خلال ديار قوم آخرين فاستباحوا بيضتهم ، وانتهكوا حرمتهم والله من ورائهم محيط

أجلبت أمم بخيلها ورجلها على الوادعين الساكنين الآمنين من جيرانها فكانوا الى الفتنة أسرع من اختطاف البازي أو هوي العقاب . فلما صرحت الزغوة عن الاين الصريح ، واستبان الراجل من الراكب وميز الاجرب من الصحيح ، نكصوا على أعقابهم قولوا الدبر غير معقبين

يقظت المبادئ الولسنية امما وشعوبا من سباتها ، ونادت المرضى باب الشفاء والموتى باب الحياة ، — وان يكن المؤولون قد أوردوا معظم الشعوب شعوبا وجعلوا الخير المأمول منها مقلوبا — فان دم الحياة قد دب في الاجسام ، وتيار الانقلابات من

(١) أنظر مبادئ ولسن ومعاهدة فرساي

مباطلة المستعمرين قد عمي في العقول ، وتسرب الى القلوب ، وتقرب ما كان قد تباعد ، وتفاقم صبح شعور [illegible] في كثير من بلاد كانت أعرق الامم بالارستوقراطية ، بل لم يكن يدين بعبادة البشر — أو الملوك — لاحياء أحد على وجه البسيطة الا ما كان في روسية (منبعث النور الآن)

وكان من تلك الامم والشعوب من عمرت طويلة ، وأيد الاستقلال العدة الامة العربية أسرها وخصوصا أهل الشام والعراق وشبه الجزيرة منها

كونت هذه الامة الاحزاب وألفت الجمعيات ووضعت الانظمة والقوانين لادارة حركتها والقيام بمهمتها ، ثم توطيد نهضتها وانماء علومها وثروتها وأول مظهر من مظاهرها قيام منك خيز على أبنائه وأبناء دينه (الترك) دفاعا عن أبناء وطنه وبلاده قام بالثورة وشد عضده فيها بنوه ومن وراءهم الامة العربية في مهاجرها وأوطانها ، وانسل من بقي من شبان العرب في الجيش التركي فانضموا الى هذه الحركة طامعا بتأسيس مملكة عربية تضم جناحي الجزيرة الى قلبها

قام الثائرون قومتهم وساعدوا الاحلاف حاضرهم وباديهم على كسر شكيمة الترك وخضد شوكة الاتحاديين منهم فانجلى الترك عن العراق والشام والحجاز بعد أن قتلوا الثائرين من شبان العرب ، وألبسوا أهل القطرين (الشام والعراق) لباس الجوع والخوف ، وصاموهم أنواع التعذيب والخسف

فرح أهل البلاد العربية بتقلص ظل الترك عن ربوعهم وخصوصا الثائرين منهم — لأنهم [illegible] بالقتلاء — بناء على وعد وعدهم به الاحلاف الملك حسين ابن علي أخذت بها [illegible] كانت كبادئ ولسان ما عاهدة (سايكس بيكو) لها كمعاهدة فرساي لتلك [illegible] معاهدة الشرف مع الملغاء استقلال سورية والعراق على [illegible] وطنهم [illegible] المعجزين [illegible] طوقا قديمة وحقوقا حديثة وحدودا [illegible] كل من دول الاحلاف فكان من جراء ذلك [illegible] وتتجرع غصصه [illegible] بغير عقلي ولا شرعي ولا طبيعي ، فسبب جعل بأس الغالبين بينهم شديدا وزرعهم في قلوب المحتلين بعضهم لبعض ضغنا جديدا ، ومزق احشاء البلاد كل ممزق ، فتقسم

يستحيل معه دوام الراحة وتمكين الاستعداد للرقي الذاتي والاستقلال، فترقي وتبرقل مهمة الانتداب وبئس يد الاستغلال

« من غالب الطبيعة غلب » بأي وسيلة تقسم بلاد متصلة الحدود مشتركة المنافع متحدة اللغة الى ما يسمى المنطقة الغربية ثم تقسيم هذه المنطقة الى لبنان والساحل . ومنطقة شرقية ومنطقة جنوبية أو مملكة صهيونية

خلق الله هذه المملكة من الارض متصلة متداخلة بعضها ببعض وخرقت لها السياسة ممالك ونسبت اليها أقواما ليسوا في البر ولا في النفير .

أحيت السياسة من ثنايا الدهر وطيات الزمان اسم الفينيقيين وأحدثت فكرة الصهيونيين بعد ان محيت فينقية من لوح الوجود ، وزلزلت طوارق الحدثان ملك اليهود ، وبدلت الارض غير الارض

دعت الحاجة الى احياء الفوارق الدينية ، وبعث العصبيات المذهبية ، بعد ان أزال ظلم الاتحاديين كوامن الاحقاد واتحدت الامة ايما اتحاد .

جرى كل هذا وادعاء الاصلاح لا يزال قائما ، وقضية الاستقلال معترف بها ولكن النفوس ملئت الوعود بعد ان طالبت بالقيام بالعهود ، قبل ان يتسع الخرق على الراقع ، وتزهق الانفس وترى الديار بلاقع .

لذلك عقد المؤتمر السوري في دمشق وأعلن استقلال سورية جمعاء (١) استنادا على الحقوق الطبيعية والقومية والجغرافية والسياسية . واعتمادا على المبادئ الولسنية واعتراف الاحلاف بهذا الاستقلال

ثم اجتمع مؤتمر عراقي في دمشق فأعلن استقلال العراق وانتخاب الامير عبد الله نجل الملك حسين ملكا عليه

تناقلت الصحف والبرق خبر هذا الاستقلال ولم يعترف به الحلفاء بعد ، وقد رأينا ان نثبت هنا مقالة نقلتها احدى الصحف المصرية عن مجلة (الرقيب) تحت العنوان الآتي

(١) ستثبت وثائق الاستقلال السوري العربي في الجزء القادم

في استقلال البلاد العربية

كنا أول من نادى بوجوب الاعتراف باستقلال البلاد العربية وقد نشرنا في اليوم الثاني لقرار مؤتمر دمشق ما يؤخذ منه صراحة ان من حسن السياسة أن تعترف فرنسة وانكلترة بالامير فيصل ملكا على سورية والعراق وفلسطين فساءَ البعض وكابر وأنكر علينا هذا القول ولكن الحوادث جاءت الآن مؤيدة لنا ونرى أيضا ان الذين يديرون دفة السياسة في بلاد الحلفاء قد اقتنعوا الآن بوجوب تحقيق رغبة الشعوب العربية

ان المعاهدة التركية التي سيمضيها مؤتمر سان ريمو ستعين حدود المملكة التركية وتفصل منها عشرة ملايين من العرب الذين اشتركوا في هذه الحرب مع الحلفاء ضد تركية فاستحقوا بذلك أن ينالوا الحرية والاستقلال بلا شرط ولا قيد أعني أنه يجب على الحلفاء أن يتنازلوا عن كل تفويض أو وكالة على هذه البلاد وبهذه الكيفية يعود السلام الدائم الى هذه البلاد فلا نعود نسمع فيها قعقعة السلاح ويلهي النظر في تنظيم آسية الصغرى يجب أن لا تترك الشعوب العربية ألعوبة في يد المصادفات السياسية

إن تكوين مملكة عربية قوية يضع حداً لكل هذه الاضطرابات ويعيد الامن والسلام الى هذه الربوع الشاسعة ويضع أيضا مستقبلها الاقتصادي وفي هذه الحالة تكون فرنسة أول من يستفيد من نمو الزراعة وازدياد التجارة والصناعة التي لها فيها مركز ممتاز من قديم لايجب تضييعه . انا في الغالب نترك مزاحمينا الاكثر مباراة ونشاطا يسبقوننا الى اقتناص الفرص ولكن اذا جرينا على سياسة مخالفة لهذا الرأي فسنسبقهم فيرنا . ولا نذهل يوما اذا وجدنا أنفسنا في عزلة عن الاتحاد الاوربي كما حدث في المسألة الروسية وغيرها وقد علمتنا التجارب في الماضي أن ننتفع بها على الاقل في هذا الوقت وأن نطمع في آسية الصغرى الاحتراس والاقدام بحيث اذا أخرنا قدما عن البلاد العربية فلا عذر لنا اذا ضاع نموذنا الاقتصادي

ان نكلترة التي ترقب الحوادث عن بعد تستعد الآن للتنازل عن دعواها

في العراق وانا ننصح لها بأن تسرع في ذلك ولا ننسى أن حلفاءنا من أصحاب التحريرية الذين يعرفون كيف يغتنمون الفرص والذين متى رأوا انه لا يمكنهم العمل بخلاف ذلك ينفذونه طبقا للظروف وهي حكمة سياسية

«ومن المرجح ان اعترافنا باستقلال سورية سيقابل في شمالي افريقية بكل سرور وابتهاج وسيوطد نفوذنا فيها ولا بد ان تبتهج جميع الامم أشد الابتهاج اذ ترانا نعامل بالرفق والاعتبار اخواتها الذين يسكنون بين البحر الابيض المتوسط والخليج الفارسي

«ونحن نلاحظ مع الارتياح ان انكلترا تحذو هذه الخطة

«وها نحن نشعر بتغيير محسوس في لهجة الجرائد الفرنسية من بضعة أيام مما يجعلنا نرحب بهذا التغيير الذي يفتح أعين من بيدهم زمام السياسة الخارجية ليروا الحقيقة وهذا ما اتبعته الجرائد الفرنسية الكبرى ولكن يجب علينا أن لا نقف في نصف الطريق وأن تستمر المجاهدة ومتى صار الاعتراف باستقلال سورية يجب علينا المساعدة في تأييده لتحيا حياة مضمونة

«ان فرنسة تظهر عظمتها بضمانة حقوق وحرية كل فرد وبذلك ستنال ثمار حكمتها وحذقها .

«ومن المحقق ان التدابير القديمة التي لا تزال نوجهها ضد الملك فيصل ستحفظ لفرنسة محلا غير لائق في الحكومة السورية وقد بين ذلك الجنرال نوري بك الذي أوفده الملك فيصل الى باريس ليوضح لحكومات الحلفاء مركز سورية والعراق وعلى الخصوص قرار مؤتمر دمشق في حديث له أفضى به آخر هذا الشهر لمندوب الصحف الفرنسية وفي الاستطاعة أن نعتمد على شرف الملك فيصل وفوق ذلك فان سورية دائما في حاجة الى فرنسة فلذلك يجب أن نتأكد أننا سنقابل دائما في سورية كاصدقاء يمكن الاصغاء بالاحترام الى نصائحهم واقتراحاتهم وسنحفظ لنا مستقبلا زاهرا في هذه المملكة التي تسعى بحق شقيقة فرنسة في مدنيتها القديمة والتي لا تطلب الا أن تعيش الآن عيشة راضية تحت ظل ومساعدة الحلفاء . وسيجد صناعنا وتجارنا وأساتذتنا في البلاد العربية ميدانا واسعا لاظهار نشاطهم ومقدرتهم ومشروعاتهم .

«واذا تقرر الاعتراف باستقلال سورية والعراق فسيحفظ في فلسطين منطقة خاصة

تحت الرقابة البريطانية ومعلوم أن فلسطين تشمل الاماكن المقدسة وعددا عظيما من اليهود مختلطا بأجناس مختلفة تعيش معا في الشرق فيجب اتخاذ مايكفل حقوق كل واحد في هذه المنطقة واحترام الاماكن المقدسة التي يقدسها العموم ولا يوجد مايبرهن على عدم كفاءة العرب لاخذهم هذه المسؤلية على عاتقهم لان الشعوب العربية تحترم أكثر من غيرها حقوق وعادات وعقائد الآخرين الذين يستظلون ظلها .

« إن فرنسة لا يمكنها أن تمد يدا لتقطع أوصال البلاد العربية بل يجب عليها أن تعمل مع حلفائها بما يطابق رغبات الشعوب . مثل هذه الرغبة ستجلى في حل مسألة لبنان ومؤتمر دمشق والملك فيصل يعترفان ولا بد للبنان بالحق في أن يفصل في شأنه ويعرب عن مصيره ولاهل لبنان الحق في تأليف مملكة أو جمهورية وأن يضعوا شرائعهم بحرية تامة وكل رجائنا أن لا يكره اللبنانيون على الانضمام الى حكومة سورية »

انتهى ما نقلناه عن مجلة الريفيو وذكرت نحوه جرائد أوربية أخرى وقد أوضح مؤتمر (سان ريمو) المقصود من الانتداب والوصاية وأيد اتفاق الاحلاف على مخلفات الرجل (المتوفى) وسواء أكنا استقلاليين أم كنا احتلاليين فانه ليؤلمنا تأخير البت في مصير بلادنا وان سرنا انه كان من أسباب تكون الامة وتنشئة الحياة الاستقلالية فيها ، فان أمانيّ ضاعت وآمالا خابت وثمرة أخذت في كثير من بلاد وأقوام الامة السورية ، ولم تكن الضائقة الاقتصادية والسياسية بعد التحرير بأخف منها أيام الاستبداد

لو احسن أولو الشأن صنعا لصينت نفوس وحفظت اعراض ولاستغني عن مناوشات وحروب كثيرة ، بل لو كان المستشارون (غير الرسميين) من الوطنيين غير ذوي اضغان لسهل كل عمل يراد دون التقتيل والتنكيل واقراء الاهلين بعضهم ببعض مما يزرع الاحقاد بين طوائف الامة فتكون وبالا مستقبلا على الحاكم والمحكوم

ثم مابالنا نرى اشد الناس اغتباطا بالتحرير والاصلاح اسرعهم الى الهجرة في ابانه ! مع ان بلادهم جعلت تحت سيطرة أمة المدنية التي هي اكثر الناس احسانا اليهم

اقرأ فصلا نقلناه في هذا الجزء عن كتاب فلسفة الحرب ثم اقرأ مانقلنا في هذا المقال عن الريفيو . وراجع مايقوله الوزراء وأصحاب الاقدار بهذا الصدد ومايتوخاه

الاسلام في مستقبل سورية وقابل حالة سكان سورية الجنوبية والشرقية والشمالية بالغربية واحكم على مستقبل الامة في مصر المدرية السعيد الذي يفجعه لاعمالة تعليق ناموس تنازع البقاء أو بقاء الاصلح واعلم أن كل سلطة منحدرة من العلو ، وان « صاحب السلطة لم يعط السلطة عبثاً »

(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء)

صالح مخلص رضا

تقريظ المطبوعات الجديدة (*)

ديوان ايليا أبو ماضي (الجزء الثاني) مطبعة ١٩٠ الطبع الكبير طبع على نفقة [illegible] بمصر سنة ١٩١٩

شعر ايليا أبو ماضي مستحسن لدى فرائق الادب عامة وقراء المنار خاصة تجد بين المواضيع المتنوعة من سياسية واقتصادية واخلاقية وأدبية وقصصية ، رقة عاطفة شعرية عربية الى أحد أفاضل أدباء السوريين ، وكقصيدة جبران خليل جبران الكاتب الابتدائي الشهير المقيم في الشعر والشاعر وطريقته في الابداع والوصف فهو نحاة من طبيعة الوجود .

ومن قصائده الرائعة الفائقة أجمل القوى — أود مفرد الجمع — في الوصف ، والشاعر والامة ، في السياسة ونهوض الامة وسقوطها ، وكذلك قصيدة « وداع وشكوى » التي يصف بها سفره الى [illegible] لكنه أبقى على شعبه وبلاده بالاغة في هذه القصيدة وظهر عظاهر اليأس من عودته بعد الامة اليها لتقاعسها واستبداد حكومتها فمنها قوله :

وطن أردناه على حب العلى فأبى سوى أن يستكين الى الشقا
كالعبد يخشى بعد ما أفنى الصبى يأوى به سادا له أن يعتقا

[illegible]

شعب كما شاء التخاذل والهوى متفرق ويكاد [illegible] جمعة
لا يرتضي دين الاله موفقا بين [illegible] في صميمه مفرقة
لم يعتقد بالعلم وهو حقائق لكنه اعتقد [illegible]

(*) كتب تقاريظ هذا الجزء شقيقنا السيد صالح مخلص رضا